خطاب الرئيس
الجامعة مختبر رجاء
الأب ميشال السغبيني

الذكرى السنويّة الثامنة والعشرون لتأسيس الجامعة الأنطونيّة
عيد سيّدة الزروع
١٤ أيّار ٢٠٢٤

قدس الأب العامّ، الأباتي جوزف بو رعد،
حضرة الأمّ الرئيسة، نزها خوري،
حضرة الآباء المدبّرين،
أصحاب المعالي والسيادة والسعادة، القيادات العسكريّة والأمنيّة والقضائيّة والنقابيّة،
سعادة أمناء الجامعة الأنطونيّة وأعضاء الهيئة التعليميّة والإداريّة والطلّابيّة،
أخواتي الراهبات، وإخوتي الرهبان،
أيّها الأخوات والإخوة الأحبّاء،

أتوجّه بالترحيب إلى قدس الأب العامّ، الأباتي جوزف بو رعد، وإلى جميع الحاضرين معنا في هذه المناسبة المباركة، عيد سيّدة الزروع، التي "تحت ظلّ حمايتها نلتجئ"، وفي ليلة عيدها (١٥ أيّار)، نلتقي لنطوّبها مرّة أخرى، ولنحتفل بالسنة الثامنة والعشرين لتأسيس الجامعة الأنطونيّة التي اختارت العذراء مريم شفيعةً لها وحامية؛ وشاءت أن تأخذ لها عيدًا مستـمَدًّا من تقليدنا السريانيّ المارونيّ الذي يحدّد أعياد العذراء مريم بحسب دورة غِلال الأرض: في كانون نصلّي على الزرع، وفي أيّار على السنابل وفي آب على العنب. في شهر كانون نزرع البِذار ونقضّب الدوالي، وفي أيّار نرى السنابل مليئةً بالقمح، وفي آب نتأمّل العناقيد متدلّيةً من الدوالي. وبين موسم الزرع ومواسم الثمر، يمرّ الشتاء بعواصفه وبرده، بثلجه ومطره، إلى أن يعود الربيع، وتقطّن البراعم قبل أن تتفتّح زهرًا فثمرًا، وتنبت الأعشاب إلى أن تستقيم مكلّلةً بسنابل تحمل الثلاثين والستين والمئة.

وددت، في بداية كلمتي، أن أستعين بهذه الصورة، ليس لأنّي بقاعيًّا، بل لأنّ المناسبة تدعونا لفهم جوهر العيد، ولأنّ الرمز قد يساعدنا لنفقه ما نعيشه من ظروف وأزمات وهزّات تتشابه وعناصر الشتاء بالنسبة للزرع. إنّ الظروف المعيشيّة القاهرة، والأزمات الاقتصاديّة والصحّيّة المتتالية، والهزّات الأمنيّة المتكرّرة التي لا نزال نعيشها في المنطقة، جعلت نسبة الصعوبات والعوائق والتحدّيات عاليةً جدًّا، وأدّت إلى دخول الكثيرين منّا بحالة ضياع وشكّ، بحالة يأس واحباط، والبعض الآخر بحالة استسلامٍ وقبول بالأوضاع دون مقاومتها، والبعض القليل جدًّا بحالة تصميمٍ على مواجهة التحدّيات وتخطّي الصعوبات وعبور الحواجز. وما زاد الأزمات ثقلًا فهو عواقب ما يمكن أن نسمّيه "عدم الاختيار"، أو عدم أخذ القرار، أو التأجيل المستمرّ، أو التمديد الـمُكرَه، أو إضاعة الفرص، وغير ذلك من المواقف الحياتيّة والجماعيّة والمؤسّساتيّة والوطنيّة. نجد أنفسنا في قلب الأزمات، وكأنّنا في "جمعةٍ عظيمة" لا تنتهي، وجلجلةٍ تطول مراحلُها إلى ما لا نهاية؛ ما إن نقوم بدفن أزمة راجين من بعدِها القيامة، حتّى ندخل أزمةً أخرى جديدة. وفي زمن الصراعات والانقسامات والتعصّبات القوميّة

٤٠٠١٦ الحدث-بعبدا، لبنان
+٩٦١ ٥ ٩٢٧٠٠١ +٩٦١ ٥ ٩٢٧٠٠٠
uAntonine ua.edu.lb contact@ua.edu.lb

والدينيّة، في زمن اغتصاب الحقوق والكراهيّة والرياء الفاضح، يأتي دور الجامعة كي يضيءَ بصيصَ نور في هذه الظلمة الحالكة. إنّنا ندرك، يومًا بعد يوم، سموَّ رسالتِنا ومحوريّتَها؛ فلا يمكننا أن نقف مكتوفي الأيدي، ولا يمكننا الجلوس والانتظار حتّى تتحسّن الأمور. يقول البابا فرنسيس: "نحن بحاجة إلى النهوض، واغتنام فرص النعمة، والانطلاق والمخاطرة. علينا أن نخاطر" (عظة ٢٠٢٣/١/١).

فمن غير المقبول، إدارةُ الحاضر بثقافة الخوف، ومواجهة المستقبل بالاستسلام أو بالعودة إلى الماضي. فالحنين لا يصنع التاريخ، والنظر إلى الماضي وأمجاده هو تجربة، هو إغراءٌ يسهل الوقوع فيه، بخاصّة لمن يدّعي منّا التحدّرَ التاريخيّ، ويستكين إلى ما لا إسهام له فيه. فالعودة بالحنين الدائم إلى الماضي هي علامة شيخوخة لا علامة عراقة أو خبرة. ونحن نعيش في عصر نتسابق وإيّاه؛ من هنا، تكون الجامعةُ علامةَ رجاء عندما لا تعتمد على مجدها الماضي بل على حاضرها الغنيّ والمثقل بالخبرة. وقد نفقد الرجاء إن قارنّا حاضرَنا بماضينا.

فمن إيماننا بالله وبما أعطاناه، وإيماننا بوطننا ورسالته، وإيماننا بشبيبتنا ومستقبلهم، نحن مدعوّون إلى إبقاء أنظارِنا محدقة بفضيلة الرجاء. ولو كانت أنظارُ مؤسّسي الحياة الرهبانيّة الأنطونيّة على الحجر الذي كانوا يبنوه نهارًا وكان يُهدم ليلًا، لَيَئسوا سريعًا وعدلوا عن مشروع بناء الدير الأمّ الذي ولدت فيه الرهبانيّة. لكن نظرَهم كان على الرجاء برسالتهم التي قامت على صخرةِ مَن أرسلهم.

وعليه، أجزم أن الجامعة هي نبعُ رجاءٍ ومصدرُ إلهامٍ لطلّابها وأفكارهم، إنها المساحة الفكريّة، والتطلّع الوجوديّ، وتَجَمّع المعارف والعلوم؛ تُسهم برؤيتها واضعةً إمكاناتِها، دون أن تبخل بأيّ شيء من أجل إبقاء شعلة الرجاء أمام الطلّاب ملتهبة. فكما ترى القيامة في فراغ القبر، ترى النور داخل الظلمة؛ هذا دورُها وطبيعتُها؛ أمام تحدّيات الظلمات، تبعث في طلّابها الشجاعةَ، والقدرة والاقدام لبناء مستقبل بروح إبداعيّة ومبتكِرة.

ولكي تكون علامةَ رجاءٍ، تتعاطى الجامعة بانفتاح على الفكر والتطور؛ وما تقدّمه، ليس مبنيًّا على وَهمٍ أو نظريّة، أو على ظواهرَ سطحيّةٍ أو رقميّة، بل على واقعٍ ملموس عمليّ وعلى ثوابتَ حِسّيّةٍ متجذّرة، تعزّزُ في طلابها الرجاءَ الذي يستلُّ بعضًا من نجاحات الماضي ويتعلّم من إخفاقاته، ويملأُ الحاضر من زخمه ويكتمل في المستقبل. لذا إنّ الجامعة، بدءًا بما تملكه الآن، وبما سبق وعاشته في قلب الأزمات السابقة، محافِظةً على نموّها ومسيرتها في ضوء رسالتها، هي وأخواتِها في عالم الأبحاث، المكانُ الذي يختبر فيه الطالبُ الرجاءَ ويختمر به؛ الجامعة هي مختبر رجاء: عبر مبادراتها المثمرة على أرض الواقع، ومشاريعها القادرة على تبديل الشكّ بالثقة، وعبر أيديها الممدودة لتقديم المعارف والعلوم، ومساهمتِها من أجل مجتمع أكثر شموليّة وتعدّديّة. يقوم رجاؤها هذا على خبرة روحيّة وإيمانيّة، وعلى خبرة عِلميّة وبحثيّة ومؤسّساتيّة، تؤمّنان استمراريّتَها وتجدّدَها في آن.

ومن علامات الرجاء فيها أيضًا هي الزروع التي ترميها فتنمو بصمت في قلب الرطوبة والظلام؛ لا ننسيّن أنّ الرجاء تستمدّه الجامعةُ أيضًا من طلّابها أنفسهم، بأفكارهم وإبداعهم، بالتزامهم وجهودهم، بتطلّعاتهم وأحلامهم، التي يمكنها أن تغيّر العالم من حولنا وبخاصّة المناطق الأقلّ حظًّا ورجاءً. باستطاعة الطلّاب القيامُ بذلك بقدْر تفاعلهم مع ما يختبرونه في ثنايا الجامعة نفسها. الرجاءُ وعدم اليأس، يغذّي عند الشباب روحَ المغامرة والتحدّي، يمنحهم التجذّرَ في محيطهم، بخاصّة أنّهم ينتمون إلى جامعة موزّعة ومتفرّعة، تتنبّه إلى حاجات الأطراف والضواحي.

الجامعةُ مختبرُ رجاءٍ إذًا في التخطيط من أجل تثبيت الطلّاب وبقائهم في الوطن؛ أمنيتنا أن يُسهم خرّيجونا في نهضة وطننا؛ وتحدّي الجامعةِ الكبيرُ أن تحافظَ على خرّيجيها وأن تشجّعَهم على الثبات في أرضهم ومع أهلٍ بذلوا كلّ شيء لأجل مستقبلهم. أُفقُ الجامعة الأنطونيّة، لا أن تخرّج طلّابًا من لبنان بل أن تخرّج طلّابًا للبنان. نحن نسعى من خلال اتفاقيّات التعاون إلى تبنّي برامج ومشاريع وخلقِ شبكةِ تواصلٍ وعلاقاتٍ من أجل بقاء شبيبتنا حيث ترعرعوا. تكون الجامعةُ علامةَ رجاءٍ بقدر ما كان هدف الثبات في الوطن يحرّكها؛ وتكون ذاتَ رسالة بقدْر ما تسهم بتحسين نوعيّة الحياة في الوطن. فحذاري من تشويه الرجاء أو الادّعاء به؛ وأقصد بذلك بتحويله إلى عناوين دون مضامين، أو مضامين دون سوق عمل محليّ. فعندما يرى الطالب مدى قوّةِ الرجاء التي تنبثق عن الجامعة، سيتحلّى تلقائيًّا بهذه القوّة، وسوف يكون بشكل طبيعيّ مواطنًا صالحًا ببقائه، سيكون مثابرًا ومجاهدًا بعِلمه، سيكون مُغنيًا لأبناء مجتمعه وخادمًا لوطنه.

ولا بدّ من التنويه بأنّ مسيرة الطالب الجامعيّ ليست مسيرة فرديّة، بل عملًا جماعيًّا وديناميكيًّا، يشارك به الأهل والقيّمون على الجامعة؛ وبانحناء الجامعة نحوه، لتمكينه بما يلزم من عِتاد لمواجهة التحدّيات، تزيده يقينًا وأمانًا ورجاءً بمستقبله. فالجامعة بوصلةُ رجاءٍ يستهدي بها الطالب ويأمن باتّباعها.

ولكي يكتملَ أكثر دور الجامعة تجاه الطالب، إنّها مدعوّةٌ للتعاون والتضامن والتفاعل، ليس فقط مع جامعات أجنبيّة، بل أوّلًا مع جامعات لبنان؛ وهذا هدفنا الأساس؛ فالجامعاتُ الرياديّةُ في لبنان تعمل على التبادل والتعاون المستمرّ؛ وهي مدعوّةٌ، أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى، إلى تشبيك رسالاتها الخاصّة، فتصبح بفعلها هذا علامة رجاءٍ أخرى لطلّابها؛ نحن، من جهتنا، نثمّن وننظر بعين التقدير إلى عمل الآخرين في الوطن، ساعين إلى أن تعكسَ مسيرتُنا الجامعيّةُ منهجيّةَ المسيرةِ الحياتيّةِ، التي رغم الصعوبات التي تواجهُها، تجد دومًا مخرجًا يعزّز العطاء والتعاون. وأعتقد أنّ لبنان-الرسالة، في تعاون الجامعات وتشابك رسالاتها، يزيد على رسالته في العيش المشترك والتعدّديّة، عنصرًا آخرَ يعكس حضارتَه الثقافيّة في التواصل والإبداع، في التضامن ومواكبة الحداثة، وفي التكامل وبناء الجسور.

لقد عانى شبابنا الكثير: من الحروب، والأوبئة والأزمات الاقتصاديّة والمصرفيّة، من الفساد وعدم الاستقرار الأمنيّ، ومن خيبات الأمل المتكرّرة، ناهيك عن معاناتهم العائليّة والمجتمعيّة والدينيّة؛ فلكلّ هذه الأنواع من المعاناة تأثيراتٌ ورواسبُ نفسيّة تركد في أعماق الأجيال الشابّة. فالجامعة تريد أن تأخذ على عاتقها هذا العناء، لتحاكي انتظارات هؤلاء الشباب، وتستجيب لطلباتهم، عَبر الاصغاء والمرافقة والتنشئة الإنسانيّة: هُم بحاجة إلى من يصغي إليهم ويفهمُهم. بخاصّةٍ أنّ مفاهيم حياتهم الأساسيّة تتغيّر بشكلّ سريع جدًّا، ما يزيد لديهم الأسئلة العميقة والحاجة إلى البحث عن الحقيقة، عن مصادر موثوقة ومراجعَ هِداية. نحن بحاجة إلى خلق جوّ من الثقة والأمل، بتحويل مرارات هذا الزمن وأزماته إلى فرص، ومشاريع وخبرات. وهذا الجوّ من الثقة يرتبط بكلّ واحد منّا، فرديًّا وجماعيًّا، شخصيًّا ومؤسّساتيًّا. من لديه الرجاء يعيش بطريقة مختلفة؛ فَمَهْما كانت مقدّراته ضعيفةً، تلمع فيه قوّة العطاء. يقول أحد الكهنة الإيطاليّين (Don Oreste Benzi): "لا يوجد أحدٌ فقيرًا لدرجة أنّه لا يملك شيئًا يعطيه، ولا يوجد أحدٌ غنيًّا لدرجة أنّه لا يحتاج إلى شيء من غيره". كلّنا مَعنيّون؛ على الجميع أن يتحلّوا بالشجاعة للمشاركة في إعادة بناء وطن نراه يُهدم أمام أعيننا، يسكنه الكثير من الغرباء والأجانب ويهجره أهله ومواطنوه.

إنّ لعمل الجامعة الأنطونيّة أهمّيّةً استراتيجيّةً في الإطار والبيئة التي شاءتها فيها الرهبانيّة الأنطونيّة، إن على الصعيد التنمويّ والاقتصاديّ أو على الصعيد الاجتماعيّ والوطنيّ. فهي تعمل الآن على تعزيز وتمكين ما قد بدأته، واضعةً دائمًا نصب عيونها ضمان الجَودة والتحديث المستمرّ للكفاءات. وبما أن الرجاء يدفع للإقدام على فعل الشيء دون خوف أو

تردّد، كما أنّه يُنعش حياة الجامعة بطلّابها وأساتذتها، بموظّفيها وإداريّيها، فلقد اخترنا الرجاء دافعًا لنا وحافزًا في مواجهة الصعاب وحلّ المشاكل اليوميّة؛ اخترناه ليكون محرّكًا في خدمتنا ورسالتنا اللتين ستغتنيان بالبرامج الجديدة التي حصلت عليها الجامعة منذ حوالي شهرين بعد صدور المراسيم عن مجلس الوزراء؛ وهذه البرامج هي: دكتوراه في العلاج الفيزيائيّ، إجازة في تقويم النطق، إجازة في التصوير الطبّيّ، إجازة في علم النفس، إجازة في الترجمة وبكالوريوس في "العمارة". نَعِدُ بأنّنا سنوفّر كلّ ما يلزم، وبخاصّة الوقت، لكي نباشر بهذه البرامج على مراحل متتالية، إن شاء الله، آملين أن تكون لخير طلّابنا ومستقبلهم في لبنان. فكما أنّ الحياة تنال بالرجاء معنًى وتوجّهًا، فإنّنا عليه نبني خياراتِنا لكي نكون غدًا أفضلَ من ذواتنا اليوم. وإذا كنّا لا نرجو، كما الحياةَ بعد الموت، عملًا مُشرِّقًا بعد الدراسة والسهر، وحياةً مَرْضيّةً بعد التضحية والجهد، فرجاؤنا باطل.

بيد أنّ زوّادةَ الرجاء التي ينالها الطالب من الجامعة تجعله مستعدًّا لمواجهة المستقبل بالعِتاد الكامل، تؤهّله بما يلزم من أدوات ومعارف، ليصبح مقتدرًا عِلميًّا وعَمليًّا، أخلاقيًّا وإنسانيًّا. وكأنّها تقول لطلّابها: "ثقوا! واعتمدوا على ما قدّمتُه لكم من تنشئة وتعليم وخبرة، وكونوا على يقين أنّكم تستطيعون خدمةَ مجتمعكم. كونوا مبدعين بروح مسؤولة؛ فأنتم بدوركم علامةَ رجاء للآخرين".

وإذا سؤلنا: "كيف تكون الجامعة مختبرَ رجاء؟" نُجيب: "عندما تكون

1. **جامعةً منغرسةً** في محيطها وإطارها ومجتمعها، تحمل همّ الأهل قبل همِّ الطالب، وهمَّ خدمةِ الوطن والمجتمع من خلال خرّيجيها.
2. **جامعةً مُبدِعة** وخَلّاقة: تنمو يوميًّا وتتعاصر: تعليمُها وأبحاثها وخدمتها مُبتكِرةٌ وهادِفة، مرتكزةٌ على التعاون والتبادل.
3. **جامعةً مصمِّمة**: لديها القدرة على التخطيط، وتنفّذ؛ لديها القدرة على إحياءِ تنميةٍ بشريّة متكاملة، وتحقّقها. لا تُخرّج طلّابًا وحسب، بل أيضًا ذوي خبرة يعملون بكفاءة ومهنيّة لدى شركات عالميّة.
4. **جامعةً حاضنة** تحضّر المستقبل، بقراءة الماضي والعمل الدؤوب في الحاضر؛ لا تخرّج طلّابًا ذوي اختصاص وحسب، بل أيضًا مواطنين يهتمّون لحاجات غيرهم وضروريّات وطنهم.
5. **جامعةً منفتحة** على طلّابها، وطلّابًا منفتحين على جامعتهم؛ فلا نخرّج روبوتات بَشَريّة، بل طلّابًا مسؤولين يحترمون الاختلاف، يعتمدون الحوار، يقدّرون الأخلاق والقيم الإنسانيّة والروحيّة.

ختامًا، يغلبني أحيانًا الشعورُ بالنظر إلى ما يحصل حولَنا، فأقول: أين نحن من الذي يحدث في الجنوب وغزّة؟ وأتساءل: لماذا لا نفعل شيئًا؟ ثم أعود لذاتي على ضوء الرجاء، فأعي أنّه من أجلهم نقوم بمتابعة مسيرتنا الجامعيّة؛ هناك من يريدنا أن نتلهّى "بالظلم تجاه الإنسانيّة"، لكي يمرّ الوقت فلا نتثقّف ونتعلّم. صحيح أن عِظم الجرائم والآلام التي تحصل لا قياسَ لها ولا مبرِّر؛ وما تراه العين، إن نظرت، لا يمكن للقلب والعقل إلّا أن يتأثّرا به، ولكن هل يعني ذلك أن نتوقّف؟ أذكّرُ أنّه خلال الحرب العالميّة الثانية، عمدت اليابان على حفر خنادق خاصّة، لتسهيل وصول التلاميذ إلى مدراسهم بأمان، مخافة أن تخسر جيلَها الناشِئَ عند انسدال الحرب. ونحن إن شئنا أن نتابع مسيرةَ التربية، فلأنّنا هكذا نتسلّح ونقاوم. لنتسلّح بالعِلم وجَودته، بالخبرة وفعاليّتها، ولنقاوم بالعطاء وصِدقه، بإنسانيّتنا وقِيَمها؛ فحتّى عندما يبدو لنا أنّ الظلامَ غلب النور، والغِشاء غطّى الضمائر، ففي هذه اللحظات بالذّات على الجامعة أن تقوم بدورها الطبيعيّ؛ لا يمكنها أن تتعوّد على الظلام، لأنّها بخدمتها تهب النور، وبمقدّراتها البشريّة والمعرفيّة، تبعث الرجاء. الجامعة كالأمّ، يفوق عندها منطقُ الحياة على منطق الموت.

٤٠٠١٦ الحدث-بعبدا، لبنان
+٩٦١ ٥ ٩٢٧٠٠٠ +٩٦١ ٥ ٩٢٧٠٠١
uAntonine ua.edu.lb contact@ua.edu.lb

Université Antonine

aaq certified 2023-2030 Université Antonine

أخيرًا، في ظلّ الظروف القاهرة، من حقّ الطالب أن ينهل من الرجاء الذي تُلهمه إيّاه الجامعة عبر برامجها التعليميّة، وأبحاثها الرؤيويّة، وخدماتها التنمويّة ومشاريعها الإبداعيّة. لتكن الجامعة الأنطونيّة حقيقةً هذا المختبر الذي يتلمّس فيه الطالب واقعيًّا الرجاء والجمال والحياة. أُمنيةُ الجامعةِ أن تبثّ الرجاء في لبنان وفي المشرق.

ليكن هذا العيد مباركًا عليكم جميعًا وعلى الجامعة؛ ولتحمينا سيّدةُ الزروع، وتنمِّ بذورَ الرجاءِ في كلّ واحد منّا وفي أرض الوطن والعالم. "أيّتها العذراءُ مريم، كما أنميتِ ثمرة الله المباركة في أحشائكِ، أنمي في قلوبنا زرع الله الخلاصيّ وحبّه اللامتناهيّ للإنسانيّة". آمين، وشكرًا.